مفاتيح قبل الدخول على القرآن

هُنا سأنقِلُ عِبارات للسَّلفِ الصَّالحِ الأجِلَّاء، والسَّادةِ العُلمَاء؛ تحُثُّ على فَهْمِ القرآن والعملِ به، عَلَّهَا تكـون دافعًا للإقبال عليه والاهتمام به والحياة تحت ظلاله.

«ليتَني كُنْتُ اقتَصَرتُ على القرآن».

[سفيان الثوري]

«ونَدِمْتُ على تَضْييع أكثرَ أوقاتي في غيرِ مَعاني القرآن».

[ابن تيمية]

«لمَّا كان هذا الكتابُ بهذه المَنزلة؛ حيثُ نزلَ به أمينُ السَّـماء على أمينِ الأرض؛ عزمْتُ أن أُفني فيه عُمُري».

[القُرطبيُّ]

«إنَّ مَنْ كان قبلكم رأوْا القرآنَ رسائلَ مِن ربهم فكانوا يتدبَّرونها بالليل ويتفقَّدونها في النَّهار».

[الحسن بن علي]

« إني لأقرأُ القرآنَ فأنظرُ فيه آيةً آية؛ فيَحَارُ عقلي فيها، وأعجبُ مِن حُفَّاظِ القرآن كيف يُهْنيهِمُ النَّوم ويُسيغُهم أن يشتغلوا بشيءٍ مِن الدُّنيا وهم يتكلَّمون كلام الرحمن! أمَا لو فهموا ما يتلون وعرفوا حقَّه وتلذَّذوا به، واسْتَحْلُوا المُناجاة به؛ لذهبَ عنهم النَّوم فرحًا بما رُزِقُوا ووُفِّقُوا».

[أحمد بن أبي الحواري]

«اقرءوا القرآن ولا تغرنَّكم هذه المصاحف المُعلَّقة؛ فإنَّ الله لا يُعذِّب قلبًا هو وِعَاءٌ للقرآن، أو قال وَعَى القرآن».

[أبو أمامة الباهلي]

«إذا أردتم العلم؛ فانثروا القرآن، فإنَّ فيه علم الأوَّلين والآخِرين».

[عبدالله بن مسعود]

«وممَّا رفعَني اللهُ به؛ القرآن».

[الأعمش]

«واللهِ ما دُونَ القرآن مِن غنى، ولا بَعده مِن فاقة».

[الحسن البصري]

«عزيزٌ عليَّ أنْ تُذِيبَ الدُّنيا أكبادَ رجالٍ وَعتْ صدُورهُم القرآن».

[أحمد بن حنبل]

«لا تهذُّوا القرآن هذَّ الشعر، ولا تنثروه نثرَ الدَّقل -الرديء مِن التَّمر-؛ قِفوا عند عجائبه وحرِّكوا به القلوب ولا يكُن همَّ أحدكم آخر السورة» «إنَّ هذه القلوب أوعية فاشغلوها بالقرآن ولا تشغلوها بغيره».

[عبدالله بن مسعود]

«لَا تَبْلُغُوا ذِرْوَةَ هَذَا الْأَمْرِ إِلَّا حَتَّى لَا يَكُونَ شَيْءٌ أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللهِ، وَمَنْ أَحَبَّ الْقُرْآنَ فَقَدْ أَحَبَّ اللهَ، افْقَهُوا مَا يُقَالُ لَكُمْ».

[سفيان الثوري]

«عليكم بالقرآن، فإنَّه فهمُ العقل، ونورُ الحكمة، وينابيعُ العلم؛ وأحدَثُ الكُتُبِ عهدًا بالرحمن، ولِعظيم ما فيه مِن البركات كانت تلاوته واستماعه مِن أعظم القُربات، والاشتغال بتعلُّمه وتعلِيمه مِن أسمى الطاعات، وكان لأهله أعلى الدرجات وأوفى الكرامات».

[كعب الأحبار]

«عليكم بالقرآن فتعلَّموه وعلِّموه أبناءكم، فإنَّكم عنه تُسألون وبه تجزَوْن وكفى به واعظًا لمَن عَقِل».

[عبد الله بن عمر]

«اعمُروا به قلوبَكَم واعمُروا به بيوتَكم، يعني القرآن».

[قتادة]

«سَيَبْلَى القرآنُ في صدور أقوامٍ كما يبْلَى الثوب فيتهافت، يقرءونَه لا يجدون له لذَّةً، يلبسون جلود الضأن على قلوبِ الذئاب، أعمالُهم طَمَعٌ لا يخالطه خوف، إن قصَّروا قالوا سنبلُغ، وإن أساءوا قالوا سيُغفر لنا إنا لا نشرك بالله شيئًا».

[معاذ بن جبل]

«لقد عشنا دهرًا طويلًا وأحدنا يؤتَى الإيمان قبل القرآن فتنزل السورة على محمَّدٍ ﷺ فنتعلمُ حلالها وحرامها وأمرها وزجرها، وما ينبغي أن يقف عنده منها، ثم لقد رأيتُ رجالًا يؤتى أحدهم القرآن قبل الإيمان، فيقرأ ما بين الفاتحة إلى خاتمته لا يدري ما أمره ولا زجره وما ينبغي أن يقف عنده منه، ينثره نثرَ الدَّقل -الرديء مِن التَّمر- كناية عن عدم اهتمامه ورعايته للقرآن».

[عبدالله بن عمر]

«لـو تفرَّغتُم لكتابِ الله لوجدتم فيه شـفاء لِمَـا تريدون، قلنا: قد تعلَّمنا القرآن، قال: إن في تعلُّمِ القرآن شُـغلًا لأعماركم وأعمار أولادكـم وأولاد أولادكـم، قلنـا: كيـف؟ قـال: لن تعلمـوا القرآن حتـى تعرفوا إعرابَه ومُحْكَمَه ومُتشـابهَه وحلالَه وحرامَه وناسِـخَه ومنسُوخَه».

[الفضيل بن عياض]

«إنَّا صَعُبَ علينا حفظَ ألفاظِ القرآن وسَهُلَ علينا العمل به، وإنَّ مَن بعدنا يسهُل عليهم حفظ القرآن ويصعُب عليهم العمل به».

[عبدالله بن مسعود]

«يا ابن آدم: واللهِ إنْ قرأتَ القرآن ثم آمنتَ به ليطولنَّ في الدُّنيا حُزْنُك، وليشتدَّنَّ في الدُّنيا خوفُك، وليكثُرَنَّ في الدُّنيا بُكاؤك».

[الحسن البصري]

«مَنْ تدبَّرَ القرآنَ طالبًا الهُدى منه، تبيَّن له طريق الحق».

[ابن تيمية]

«لقـد تأمَّلـتُ الطُّرُقَ الكلاميَّـة والمناهجَ الفلسـفيَّة؛ فما رأيتُها تشـفي عليلًا ولا تـروي غليلًا، ورأيتُ أقـربَ الطُّرُقِ: طريقة القرآن». [فخر الدين الرازي]

«واعلـم أنَّ قوَّةَ الدينِ وكمَالَ الإيمانِ واليقينِ؛ لا يحصُلان إلا بكثـرةِ قراءة القرآن واسـتماعه، مـع التدبُّر بنيَّة الاهتـداء به والعمل به والعمـل بأمره ونهيه، فالإيمان الإذعانـي الصحيح يزداد ويقوى ويترتَّـب عليه آثاره مِن الأعمال الصالحة وترك المعاصي والفسـاد بقدر تدبُّر القرآن، وينقص ويضعف على هذه النسبة من ترك تدبُّره».

[محمد رشيد رضا]

«أقول لكم ما أُومنُ به وأدين: إنه ليس بكتابٍ فحسْب، إنَّه أكثرَ مِن ذلك؛ إذا دخل في القلبِ تغيَّر الإنسـان، وإذا تغيَّر الإنسـان تغيَّر العالَم، إنَّه كتابٌ حيٌّ خالدٌ ناطق، إنَّه يحتوي على حدود الشـعوب والأمم ومصير الإنسانيَّة».

[محمد إقبال]

«عليك بتدبُّر القرآن حتى تعرف المعنى، تَدَبَّرَه مِن أوَّلِه إلى آخِره، واقـرأه بتدبُّر وتعقُّل، ورغبة في العمـل والفائدة، لا تقرأه بقلبٍ غافل، اقـرأه بقلبٍ حاضر، واسـأل أهل العلم عمَّا أُشـكِلَ عليك مع أن أكثرَه -بحمد الله- واضحٌ للعامَّة والخاصَّة مِمَّن يعرف اللغة العربية».

[ابن باز]

«قُـرَّاءُ القـرآن ثلاثة أصنـاف: صِنفٌ اتخـذوه بِضَاعـةً يأكلون

بـه، وصِنفٌ أقاموا حروفَه وضيَّعوا حدودَه واستطالوا به على أهل بلادهـم واستدروا بـه الولاة، كثُـرَ هذا الضـرب مِن حملـة القرآن لا كثَّرَهـم اللهُ، وصِنـفٌ عمَدوا إلى دواء القـرآن فوضعوه على داء قلوبهم فركدوا به في محاريبهم وحنوا به في برانسـهم واستشعروا الخوف فارتدوا الحزن، فأولئك الذين يسقي اللهُ بهم الغيث وينصر بهـم على الأعـداء، واللهِ لهؤلاء الضرب مِن حملـة القرآن أعزُّ مِن الكبريت الأحمر».

[الحسن البصري]

«إنَّ مِـن أعظم ما يحرقُ هذه الطوائف الفكرية المُخالِفة لأهلِ السُّـنَّةِ والجماعةِ في منهـج الإصلاح والنهضة: الدعـوة إلى تلاوةِ القرآن وتدبُّرِ معانيه، وقد رأيتُ شـبابًا كثيرًا كانت لديهم إشكاليات كثيرة بسبب القراءة في بعض الكتب والمقالات الفكرية المُنحرِفة، فأوصاهم بعضُ المُتخصصين بتـلاوةِ القرآن وتَدبُّرِ معانيه، فما هو إلا فترةً يسـيرةً حتى زالت عنهم الغشاوة كلها، وتبيَّن لهم المطالب التـي يريدُها اللهُ مِن العبـاد، ودرجاتها وأولوياتهـا، فصاروا بحمدِ اللـه يُعظِّمـونَ ما عظَّمه القرآن، ويسـتهِينُونَ بما اسـتهان به القرآن، ويُقدِّمـونَ مـا قدَّمَهُ القرآن، ويؤخِّـرون ما أخَّره القـرآن، وأصبحتْ الرؤية عندهم شديدة الوضوح». [إبراهيم السكران]

«إنَّ مواعـظَ القـرآنِ تُذِيبُ الحديـد، وللفُهُـوم كل لحظةٍ زجْرٌ جديـد، وللقلـوبِ النيِّـرة كل يـومٍ به وعيـد، غيـر أنَّ الغافـلَ يَتْلوه ولا يَسْتَفِيد».

[ابن الجوزي]

«وحـدَهُ القـرآن يأتي بك سـريعًا، مهما تخبَّطت يمينًا ويسـارًا وتقلَّبـتَ فـي الخطايـا والرزايا، مهما طالت المسـافة التي مشـيتَها مُبتعـدًا ومُعرضًـا عـن طريـق الله، مهمـا كان حجـم التفريط الذي أصابَـك، مهما اسـتطال فتـورك، مهما كانت الأسـباب التي تحول دون اقترابـك، مهمـا كنـتَ قانطًـا؛ تجد القـرآن يطوي بـك الزمان والمكان ويضعـك على أعتاب باب الله بقوَّتِه الجبَّارة التي أودعها اللهُ فيه، وسطوتِه التي تخشع لها الجبال فضلًا عن قلوب الرجال..

أصلِح علاقتك بالقرآن يا صديق؛ يتضح لك الطريق».

[مصطفى شيخون]

«كَانَ حَقِيقًـا بِالْإِنْسَـانِ أَنْ يُنْفِقَ سَـاعَاتِ عُمُرِهِ بَلْ أَنْفَاسَـهُ فِيمَا يَنَـالُ بِهِ الْمَطَالِـبَ الْعَالِيَةَ، وَيَخْلُصُ بِهِ مِنَ الْخُسْـرَانِ الْمُبِينِ، وَلَيْسَ ذَلِـكَ إِلَّا بِالْإِقْبَـالِ عَلَى الْقُـرْآنِ وَتَفَهُّمِـهِ وَتَدَبُّرِهِ وَاسْـتِخْرَاجِ كُنُوزِهِ وَإِثَـارَةِ دَفَائِنِـهِ، وَصَرْفِ الْعِنَايَـةِ إِلَيْهِ، وَالْعُكُـوفِ بِالْهِمَّةِ عَلَيْـهِ، فَإِنَّهُ الْكَفِيـلُ بِمَصَالِحِ الْعِبَادِ فِـي الْمَعَاشِ وَالْمَعَـادِ، وَالْمُوَصِّلُ لَهُمْ إِلَى

سَبِيلِ الرَّشَادِ، فَالْحَقِيقَةُ وَالطَّرِيقَةُ، وَالْأَذْوَاقُ وَالْمَوَاجِيدُ الصَّحِيحَةُ، كُلُّهَا لَا تُقْتَبَسُ إِلَّا مِنْ مِشْكَاتِهِ، وَلَا تُسْتَثْمَرُ إِلَّا مِنْ شَجَرَاتِهِ».

[ابن القيم]

«وتَلقِّي القرآن بمعنى استقبال القلب للوحي، على سبيل الذكْر، إنما يكون بحيث يتعامل معه العبد بصورة شُهُودية، أي كأنما يشهد تنزَّلَه الآن غضًّا طريًّا! فيتدبَّره آيةً، آيةً، باعتبار أنها تنزَّلتْ عليه لتخاطبه هو في نفسِه ووجدانِه، فتبعث قلبه حيًّا في عصره وزمانه، ومِن هنا وصف الله تعالى العبد الذي «يتلقَّى القرآن» بهذا المعنى: بأنه يُلْقى له السمع بشهود القلب، قال تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكۡرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلۡبٌ أَوۡ أَلۡقَى ٱلسَّمۡعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾، ذلك هو الذاكر حقًّا، الذي يحصل الذكرى ولا يكون مِن الغافلين».

[فريد الأنصاري]

«ما رأيتُ شيئًا يُغذِّي العقلَ والروحَ ويحفظ الجسمَ ويضمن السَّعادة؛ أكثر مِن إدامةِ النظر في كتاب الله تعالى».

[ابنُ تيمية]